الفصل الثالث

الصَّبْر والثَّبات في مُواجَهَة الابْتِلاء

الصبر والثَّبات فى مواجهة الابتلاء

■ الابتلاء سنة إلهية:

حين خلق الله تعالى الحياة والأحياء في هذه الدار؛ اقتضت حكمته سبحانه أن تكون حياتهم مزيجًا من السعادة والشقاء، والفرح والترح، والأنس والوحشة، والسعة والضيق، واللَّذَّة والألم، يستوي في ذلك في الجملة جميع الناس؛ سواء كانوا مؤمنين أو كفارًا، سادة أم سوقة.

وما من إنسان - أيًّا كان-؛ إلا وفي حياته أيام من هذا، وأيام من ذاك؛ فالدار الدنيا يختلط فيها الضحك بالبكاء، والحزن بالسرور.

وقد حسب أحد الخلفاء العظام ممَّن امتدَّت أيام خلافته؛ حسب أيام السرور في خلافته، فكانت أربعة عشر يومًا فقط!!

والكوارث الدنيوية؛ في النفس، أو في الولـد، أو في المال؛ قاسم مشترك بيـن جميـعِ الأحيـاء، ولولا الآلام؛ لما وجد الناس طعـم اللَّذائـذ، فـألم الحرمان هو سر اللذَّة بالوجدان، وألم الجوع هـو سر اللذّة بالشـبع، وألـم الفـراق هـو سـر اللـذَّة باللقاء.

وهـذه النظـرة الصـحيحة هـي الـتي حـرص الإسلام على ترسيخها في أذهان المؤمنين.

قال تعالى: (**اعْلَمُـوا أَنَّمَـا الحَيَـاةُ الـدُّنْيَا لَعِبٌ ولَهْـوٌ وزِينَـةٌ وتَفـاخُرٌ بَيْنَكُـمْ وتَكـاثُرٌ في الأمْوالِ والأوْلادِ كَمَثَـلِ غَيْـثٍ أَعْجَـبَ الكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُـمَّ يَهيـجُ فَتَـراهُ مُصـْفَرًّا ثُـمَّ يَكُونُ حُطَامًا**)[1].

ولهذا يحرص الكافر الذي ينتهـي نظـره عنـد هذه الـدار الممزوجـة لَـذَّاتها بالغُصـص علـى أن يعبَّ منهـا مـا اسـتطاع؛ لأنهـا فرصـته الوحيـدة، فيسكر بخمر اللذّة والشهــوة، ثـم يسـكر، وهـو ينادي:

سَمِعْتُ صَـوْتًا هَاتفًا في السَّـحَرْ
نَــادَى مِـنَ الحَـان غُفــاةَ البَشَـرْ

هُبُّوا امْلَؤوا كَأْسَ الطُّـلَى قَبْلَ أنْ
تَفْعَــمَ كَـأسَ العُمـر كَـفُّ
القَـدَرْ

أفِـقْ وهَات الكَـأسَ أنْعِمْ بـها
واكْشِفْ خَفايا النّفْسِ مِـن
حُجْبِها

ورَوِّ
ِ أوْصَـالـي بـهـا قبْلَمَـا
يُصــاعُ دنُّ الخَــمْرِ مِــنْ
تُرْبِها[2]

ويَفْـرَق مـن بلوائهـا وعنائهـا، ويضـيقُ بهـا، فتمتلـئ نفسـه اكتئابًـا، ويمتلـئ قلبـه حسـرة، وتنتهي حياتُه نهاية يائسة محطَّمة أليمة؛ دون أن يدري لماذا ابتدأت؟ وتسيطر عليه وحشة الفناء، فيقول:

أوَراءَ القَبْـرِ بَعْدَ المَوْتِ بَعْثٌ ونشـورُ؟!
فَحَيـاةٌ فَخُـلودٌ أمْ فَـنَـاءٌ ودثُـورُ؟!
أكَلامُ النَّاس صِدْقٌ أمْ كَلامُ النَاسِ زورُ؟!
أصَحـيحٌ أنَّ بَـعْضَ النَـاسِ يَدْري؟!
لَسْتُ أدْري[3].

أمـا المـؤمن؛ فتـدعوه النظـرة الصـادقة المتَّزنة للدُّنيا إلى أن لا يجـزع عنـد المصـيبة، ولا ييأس عنـد الضـائقة، ولا يبطـر عنـد النعمـة، وأن يقتصـر مـن متاعهـا علـى المُبـاح؛ طلبًـا للمتعـة الكاملة الدائمة عند الله في الدار الآخرة.

ولاختلاف التصـوُّر والنظـرة بيـن المـؤمن والكـافر، ثـم اختلاف المنهـج والطريـق؛ صـارت الحياة صراعًا بين هـذين المنهجيـن، فيُبْتَلـى هـذا بهـذا، وهـذا بهـذا؛ فـالمؤمنون يُبْتَلَـوْن بالكفـار، والكفار يُبْتَلَون بالمؤمنين.

وهـذا النـوع مـن الابتلاء -وهـو ابتلاء العبـاد بعضـهم ببعـض- هـو أيضًـا قاسـم مشـترك بيـن المؤمنين والكافرين؛ كما قال تعالى: (**ذلكَ ولَوْ يَشـاءُ اللـهُ لانْتَصَـرَ مِنْهُـمْ ولكِـنْ لِيَبْلُـوَ بَعْضَكُمْ بِبَعْض)**[4].

وقال: **(ولَوْ شَاءَ اللـهُ مـا اقْتَتَـلَ الَّـذينَ مِنْ بَعْـدِهِمْ مِـنْ بَعْـدِ مَـا جَـاءَتْهُمُ البَيِّنَـاتُ ولكِنِ اخْتَلَفوا فَمِنْهُمْ مَنْ آمَنَ ومِنْهُمْ مَنْ كَفَرَ ولَوْ شَاءَ اللهُ مَـا اقْتَتَلـوا ولكِـنَّ اللـهَ يَفْعَلُ مَا يُريدُ)**[5].

وفي الحديث القدسي: أن اللـه تعـالى قـال لنبيه ﷺ: **"إنما بعثتُك لأبتليك وأبتلِيَ بك"**[6].

والله تعالى يُداوِل الأيام بين الناس بحكمتـه، فيُديل للمؤمنين من الكفار تـارة، ويُـديل للكفـار من المؤمنين تارة، ويجعل الكفـار تحـت سـلطة المؤمنين وقهرهم حينًا، ويجعـل المـؤمنين تحـت قهر الكفار وتسلُّطهم حينًا آخر، والدَّهر هكذا.

ولكن المـؤمن يتميّـز بمعرفتـه أن هـذا البلاء الذي لقيه مـن أعـدائه -مـن الكفـار والمنـافقين والفاسقين-؛ إنما هو بسبب التزامه بهـذا الـدين، وصبره عليه، ودعوته إليه، وهـو يـؤمن بـأنه ديـن الله الذي ارتضاه لعباده كلهم، ولـن يقبـل منهـم سواه.

ولهذا يكـون البلاء الـذي يلقـاه المـؤمن فـي سبيل هذا الـدين أثـرًا مـن آثـار الاسـتقامة علـى المنهج، وهذا يجعل المرء بين موقفين:

الموقف الأول: النكول والتراجع عن هـذا الطريق الذي سبَّب له هذه الآلام، وعرَّضه لهـذه المِحن، وهذا حـال صــنف مـن النـاس وصــفهم الله في كتابه:

فقال سبحانه: **(ومِنَ النَّـاسِ مَـنْ يَقُـولُ آمَنَّا باللهِ فإذا أُوْذِيَ في اللـهِ جَعَـلَ فِتْنَـةَ النَّاسِ كَعَذابِ اللهِ)**[7].

وقـال سـبحانه: **(ومِنَ النَّـاسِ مَـنْ يَعْبُـدُ اللهَ عَلى حَرْفٍ فإنْ أصابَهُ خَيْرٌ اطْمَأنَّ بِهِ وإنْ أصابَتْهُ فِتْنَةٌ انْقَلَبَ عَلى وَجْهِهِ خَسِـرَ الدُّنْيا والآخِرَةَ ذلكَ هُوَ الخُسْرانُ المُـبينُ)**[8].

فيقول: لو كان هذا الدين خيـرًا؛ لمـا تسـبب في حرماني من وظيفتي، أو مصادرة حريـتي، أو كسـاد تجـارتي، أو فـراق زوجـتي، أو سـجني، أو قحط أرضي، فيفرق ويترك الطريق.

الموقـــف الثـــاني: هـــو موقـــف الصـــبر والإصـــــــــرار والثبـــــــــات مهمـــــــــا تطلّ
َــب الصـبر مـن الجهـود والتَّضـحيات، ومضـاعفة الصبر كلما تضاعفت الآلام، والاستمرار على هـذا الصبر مهما طـال الزمـان؛ تحقيقًـا لمعنـى قـول اللـه تعـالى: **(يَا أيُّهَـا الَّـذينَ آمَنُـوا اصْـبِرُوا وصَـابِرُوا ورَابِطُـوا واتَّقُـوا اللـهَ لَعَلَّكُـمْ تُفْلِحُـونَ)**[9]، فهـو سـبحانه وتعـالى قـد أمـر بالصبر، ثم بالمصابرة - وهي مقابلة صبر الآخرين والتغلُّـب عليـه -، ثـم المرابطـة والصـبر علـى الصبر!

وهذا موقف المـؤمنين الصـادقين فـي عقـد الإيمان، الذين لا تزيدهم المحن؛ إلا إيمانًـا بـالله، وتسليمًا له، وتصديقًا بوعده ووعـد رسـوله؛ كمـا قال تعالى: **(ولَمَّا رَأَى المؤمِنُـونَ الأحْـزابَ قَالُوا هذا مَا وَعَدَنا اللـهُ ورَسـولُهُ وصَـدَقَ اللـــهُ ورَسُـــولُهُ ومَـــا زَادَهُـــمْ إِلاَّ إِيْمانًـــا وتَسْليمًا)**[10].

ولتميُّز مدَّعي الإيمان إلى هذين الموقفين المتباينين؛ سمَّى الله عزَّ وجلَّ الابتلاء فتنة، فقال: **(الم .أحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أنْ يَقُولوا آمَنَّا وهُمْ لا يُفْتَنُونَ .ولَقَدْ فَتَنَّا الَّذينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللهُ الَّذينَ صَدَقُوا ولَيَعْلَمَنَّ الكَاذِبينَ)**[11].

والفتنة: الامتحان والاختبار؛ يقال: فَتَنْتُ الذهبَ بالنار؛ إذا: امتحنْتُه، وقيل: الفَتْنُ: هو الإحراق، وشيء فَتين؛ أي: مُحْرَق[12].

فعلى وهج النار الملتهبة -نار الفتنة بجميع أنواعها- تتميّز معادن الناس، فينقسمون إلى مؤمنين صابرين، وإلى مدَّعين أو منافقين، وينقسم المؤمنون إلى طبقات كثيرة؛ بحسب شدة صبرهم وقوَّة احتمالهم.

ومن رحمة الله بعباده المؤمنين أن يسلِّط عليهم البلاء، ثم يرزقهم الثبات؛ لينالوا عنده الأجر العظيم.

وهــو ســبحانه يربيهــم بــالمحن والشــدائد، ويصـفِّي قلـوبهم مـن الـدّخَل والـدّغَل والغـش، وكلَّما خرجوا من محنة أو فتنــة بالصـبر والثبـات والإصرار؛ قيَّض لهـم أخـرى أشـدَّ منهـا؛ بعـد أن وَعَوا درس المحنة الأولى، وأفادوا منـه، وارتقـى مستوى إيمانهم ويقينهم.

ولو أنهـم ابتُلُـوا بالمحنــة الآخـرة أولاً؛ لربَّمـا ضعفوا أو تزعزعـوا، ولكـنّ اللـه تعـالى يـدرِّجُهم فيها صُعُدًا؛ ليَتَنامى إيمانُهم ويقوى ويزداد.

وقد بيَّن الرسول ﷺ هذه المعاني لأصحابه بيانًا قويًّا مكرَّرًا فـي مناسـباته؛ لأنهم كانوا في أشد الحاجة إليه، حيث إنهم حملة رسالة الإسلام أول مرة، والمضحِّين في سـبيلها، والمبتَلَيْن من أجلها، وكانوا -مع هذا- أحـب الأمـم إلى الله، وأقربهـا إليـه زلفـى، وأعظمهـا عنـده قدرًا.

عـــــــن ســــــــعد بــــــــن أبـــــــي وقّاص رضي الله عنه؛ قال: قلت: يا رسول الله! أي النـــــــــــــــــــــــــــــــاس أشـــــــــــــــــــــــــــــــــد بلاءً؟ قال: **"الأنبياء، ثم الأمثل فالأمثل، فيُبْتَلى الرجل على حسب دينه، فإن كان دينُه صلبًا؛ اشتد بلاؤه، وإن كان في دينِه رقّة؛ ابتُلِي على حسب دينه، فما يبرح البلاء بالعبد حتى يتركه يمشي على الأرض ما عليه خطيئة"** [(13)].

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه؛ قال: دخلتُ على رسول الله ﷺ وهو يوعَكُ[14]، فوضعتُ يدي عليه، فوجدتُ حرَّه في يدي فوق اللحاف، فقلتُ: يا رسول الله! ما أشدَّها عليك! قال: **"إنا كذلك؛ يُضَعَّفُ لنا البلاء، ويُضَعَّف لنا الأجر"**. قلت: يا رسول الله! أيُّ الناس أشد بلاء؟ قال: **"الأنبياء"**. قلت: يا رسول الله! ثم مَن؟ قال: **"ثم الصالحون، وإن كان أحدهم لَيُبْتَلى بالفقر حتى ما يجد أحدهم إلا العباءة يُحَوِّيها[15]، وإن كان أحدهم ليفرح بالبلاء كما يفرح أحدكم بالرخاء"**[16].

وعـن ابـن مسـعود رضـي اللـه عنـه بنحـو القصة، وفيه قول رسول الله ﷺ: **"إنـي أوعـك كمـا يوعَـكُ رجلان منكـم"**. فقلتُ (أي: ابن مسـعود): ذلـك أنَّ لـك أجريـن؟ قـال: **"أجـل؛ ذلـك كـذلك، مـا مـن مسـلم يصيبُه أذى؛ شـوكةٌ فمـا فوقهـا؛ إلا كفَّـر اللـه بهـا سـيئاته، كمـا تحـطُّ الشـجرة ورقها"**[17].

وعن أبي عُبيدة بن حذيفة عن عمتـه بنحـوه، وفيه: فأمر بسقاء، فعُلِّق بشـجرة، ثـم اضـطجع تحته، فجعل يقطر على فؤاده؛ قـال: **"إنَّ أشدَّ النـاس بلاء الأنبيـاء، ثـم الأمثـل فالأمثل"**[18].

والفتنة تأخذ صورًا شتّى:

- منها: أن يتعرَّض المؤمن للأذى من الباطل وأهله، ثم لا يجد النصير الذي يسانده ويدفع عنه، ولا القوة التي يواجه بها الطغيان.

- ومنها: فتنة الأهـل والأحبـاء الـذين يخشـى عليهم أن يصيبهم الأذى بسببه وهو لا يملك عنهم دفعًـا، وقـد يهتفـون بـه ليسـالم أو يستسـلم ويحفظهم في قرابتهم.

- ومنها: فتنة إقبال الدنيا على المبطلين، وتعظيم الناس لهم، وهو ملء سمع الدنيا وبصرها، وهو مهمَل منكَر لا يحس به أحد، ولا يشعر بقيمة الحق الذي معه إلا القليل من أمثاله من الغرباء الذين لا يملكون من أمر الحياة شيئًا.

- ومنها فتنة الغربة في البيئة، والاستيحاش بالعقيدة، حين ينظر المؤمن فيرى كلَّ ما حوله ومَن حوله غارقًا في تيَّار الضلالة، وهو وحده موحشٌ غريب طريد!

- ومنها فتنة ظهور الأمم الكافرة المنحلَّة الغارقة في الرذيلة، ورقيها في مجالات الحضارة الماديَّة رقيًّا هائلاً، وهي مع ذلك كافرة محادَّة لله[19].

- وهناك فتنة إبطاء النصر عن المؤمنين، وتعرُّضهم للأذى والضرب والتنكيل والقتل والتشريد على أيدي أعداء الله، وهم يجأرون إلى الله بالدعاء بالتفريج والنصر، فلا يلوح لهم في الأفق بارقة من الفرج القريب.

قال تعالى: **(أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الجَنَّةَ ولَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسَّتْهُمُ البَأْسَاءُ والضَّرَّاءُ وزُلْزِلُوا حَتّى يَقُولَ الرَّسُولُ والَّذينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتى نَصْرُ اللهِ ألا إِنَّ نَصْرَ اللهِ قَريبٌ)**[20].

إن المؤمن؛ كلما ازداد تمسُّكه بهذا الدين، وصبره على تكاليفه؛ ازدادت -تبعًا لذلك- شدَّةُ الابتلاء والفتنة عليه من قِبل أعداء هذا الدين، حتى ينتصر هذا المؤمن بأي صورة من صور النصر، أو ينتصر الأعداء بزحزحته عن دينه، أو فتنته عن بعض شرائعه، ولا انتصار لهم إلا بهذا.

إن الابتلاء سنّة إلهية جارية على حَمَلَة الدعوات منذ فجر التاريخ، ولابدَّ أن يدرك الدُّعاة أن طريق النصر وحُسْن العاقبة يمرُّ بالابتلاء والمِحَن والشَّدائد، والنصر الرخيص لا يجيء، وإن جاء لا يدوم.

فالمراحل التي تمرُّ بها حياة المؤمنين المجاهدين؛ من العلماء والدُّعاة؛ ممَّن صدقوا في دعوى الإيمان، واستحقُّوا أن يمنَحَهم الله أمانة قيادة البشرية بالإسلام؛ هي: الابتلاء، ثم الصبر، ثم العاقبة.

وقد قيل للشافعي: أيُّها أفضل للرجل: أن يمكَّن أو يُبْتَلى؟ قال: "لا يمَكّن حتى يُبْتَلى".

وقد جاء في حديث ابن عباس رضي الله عنه في قصة المحادثة بين أبي سفيان وهرقل: "سأل هرقل أبا سفيان: هل قاتلتموه؟ قال: نعم. قال: فكيف كان قتالكم إياه؟ قال: الحرب بينَنا وبينَه سجالٌ، يُدال منا، ونُدال منه...".

ثم قال هرقل في آخر الحديث: "سألتك: كيف كان قتالكم إياه؟ فزعمتَ أن الحرب سجال ودول؛ فكذلك الرُّسل؛ تُبْتَلى، ثم تكون لهم العاقبة"[21].

إن الرسل ابتُلِيَت فصبرت على البلاء حتى أتاهم نصر الله، وهذه سنة الله التي لا تتبدَّل: **(ولَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ فَصَبَرُوا عَلى مَا كُذِبُوا وَأُوذُوا حَتَّى أَتَاهُمْ نَصْرُنَا وَلا مُبَدِّلَ لكَلمَات الله وَلَقَدْ جَاءَكَ مِنْ نَبَإِ المُرْسَلينَ)**[22].

أما المتعجِّلون، الذين يُريدون خضوع القدر لهوى نفوسهم؛ فهم قد فقدوا الصبر أصلاً، فلا يأتيهم النصر، حتى تطمئنّ قلوبهم إلى قدر الله، وتستسلم لحكمه، وإن ظلَّت على ما هي عليه؛ فلتصنعْ ما تستطيع:

(وَإِنْ كَانَ كَبُرَ عَلَيْكَ إعْرَاضُهُمْ فَإِنِ اسْتَطَعْتَ أنْ تَبْتَغِيَ نَفَقًا في الأرْضِ أوْ سُلَّمًا في السَّمَاءِ فتَأْتِيَهُمْ بِآيَةٍ ولَوْ شَاءَ اللهُ لَجَمَعَهُمْ عَلى الهُدَى فَلا تَكُونَنَّ مِنَ الجَاهِلينَ)[23].

■ **أهمية الصبر على الابتلاء وأثره في دفع الغربة:**

الصـبر فـي اللغـة: الحبـس، تقـول: صـبرت نفسي على ذلك الأمر؛ أي: حبستُها[24].

قال الشاعر:

فَصَبَـرْتِ عَـارِفَةً لِذلِكَ حُـرَّةً
تَرْسُــو إذا نَفْـسُ الجَبَــانِ تَطَلَّعُ[25]

ومعنى الصبر المشروع: حبس النفـس عــن الجزع والتسخُّط، وحبس اللسان عن الشــكوى، وحبس الجوارح عن التشويش[26].

وهو ثلاثة أنواع: صبرٌ على طاعة الله، وصـبرٌ عن معصية الله، وصبرٌ على امتحان الله[27].

ومعنى النوعين الأوَّلين -وهما الصبر على الطاعة، والصبر عن المعصية-: الثبات على الدين؛ فعلاً للمأمور، وتركًا للمحظور، واستمرارًا على ذلك؛ بحيث لا تصرفه عنه الصوارف، وهما أكمل وأعظم من النوع الثالث، إذ إن صبر المرء فيهما بإرادته واختياره؛ فقد تَعْرِض له الفتن والمغريات التي تدعوه إلى المعصية وتزيِّنها له، وتَعْرِض له الحوائل والعقبات التي تثبِّطُه عن الطاعة وتوهِنُ عزمَه عن فعلها، فيتغلَّب على هذه وتلك، ويفعل الطاعة، ويترك المعصية؛ بإرادته واختياره.

ولذلك كان صبر نبي الله يوسف عليه السلام عن امرأة العزيز ورفضه للاستجابة لها أعظمَ وأكملَ من صبره على كيد إخوته وما صنعوا به من الأذى[28].

والفئـة المؤمنـة -وفـي مقـدمتها الطائفـة المنصورة المغتربة- مطالَبة بأنواع الصبر الثلاثة، خاصة وأن هذه الأنواع قد تتداخل فتصـبح لحمـة واحدة، وذلك حين يستطيع أعداء الإسلام إلحـاق الضرر بالمؤمنين أو ببعـض أفرادهـم؛ بالقتـل، أو الضـرب، أو التشـريد، أو الإخافـة، أو سـلب الأموال، أو قتل الأولاد والأزواج... ونحو ذلك.

فها هنا يكون هذا الأمر القدَري الواقع الذي لا حيلة للإنسان في دفعه ناتجًا عن الصبر علـى الطاعة والثبـات عليهـا، والصـبر عـن المعصـية والعزوف عنها؛ فهـو صـبر علـى القـدر النـازل، وهو أيضًا صبر على الطاعـة والإيمـان والاتبـاع، إذ لـو تخلَّـى المـؤمن عـن دينـه، ووافـق هـؤلاء الكفار ومَن في حكمهم فيما هم عليـه؛ لسـالموه وتـاركوه؛ بـل والَـوْه وصـاحبوه ودفعـوا عنـه بمـا يستطيعون.

وربمـا نـزل بـالمرء نازلـة بسـبب دعـواه الإيمان، فسخط، وجعل فتنة الناس كعذاب الله، وانقلب على وجهه، فخسر الدنيا والآخرة.

مـع أن الإنسـان لا ينفـكُّ عـن أذى النـاس وضرِّهم؛ فإنه إذا ارتدَّ وانحرف وانحاز إلى صـفِّ الكافرين أو الفاسـقين؛ تعـرَّض للضَّـرر والإهانـة والقتـل وسـلب المـال بأيـدي المـؤمنين المجاهدين:

فمَن لم يصـبر علـى الأذى فـي طاعـة اللـه، واختار المعصية؛ كـان مـا يحصـل لـه مـن الشـر أعظم مما فرَّ منه بكثير.

ومَن احتمل الهوان والأذى فـي طاعـة اللـه، واختاره على الكرامـة والعـز فـي معصـية الل ه ؛ كانت العاقبة له فـي الـدنيا والآخـرة، وانقلـب مـا نـاله مـن الأذى نعيمًـا وسـرورًا؛ كمـا ينقلـب مـا يحصل لأرباب المعصية من التنعُّم بالـذنوب حزنًـا وثبورًا.

ولذلك صار الصبر من الدين بهـذه المنـــزلة، إذ إن أصل الصبر لا يستغني عنه مسلم ألبتَّــة؛ فهو محتاج إلى الصبر الذي يعينــه علــى الــدخول في الإسلام، وتحمُّل ما يلقــى فــي هــذا الســبيل، ومحتاجٌ إلى الصبر الذي يعينه على المضــيِّ فــي طريق الإيمان، والاستمرار والثبات علــى مــا هــو عليه، فإذا لم يصبر؛ أوشك أن يــدع دينــه لأهــواء الخلق المناقِضة لشرع الله.

فمن لم يكن عنده صبر ألبتــة؛ فكيــف يكــون عنده إيمان؟!

وتزداد حاجة المرء إلى الصبر كلَّما ارتقى في مــــــــــــــدارج الإيمــــــــــــــــان والعبوديّــَة والجهاد؛ لشدَّة التكــاليف، وثقــل وطأتهــا علــى الإنسان، وكثرة مــا يلقــاه فــي هــذا الســبيل مــن المُعَوِّقات.

وكلَّمـا فسـدت الحيـاة، وأسِـن المشـرب، واستحكمت غربة الدين؛ كـان المـرء أحـوج إلـى الصبر، حتى تأتي أيام الصبر التي ذكرها الرسول □□□ □□□□ □□□□ □□□□ □□□□ في حديث أبي ثعلبة الخشني رضي الله عنـه، حيـث قـال: "**إن من ورائكـم أيام الصبر، الصبر فيـه مثـل قبـض علـى الجمر، للعامل فيهـم مثـل أجـر خمسـين رجلاً يعملون مثل عملـه**". قـال: يـا رسـول الله! أجر خمسين منهم؟ قال: " **أجر خمسين منكم**"[29].

ومـن الواضـح أن هـذه الأيـام نُسِـبت إلـى الصبر؛ لشدة الحاجـة إليـه فيهـا، وكـثرة المحـن والشدائد والفتن التي تستدعي الصبر:

- الصـبر علـى الـدين: بمعنـى الثبـات عليـه، وعدم التراجع أو الضعف أو التردُّد.

- والصبر على الدعوة، والجهاد، والإنفاق فـي سبيل الله، وسائر الأعمال الـتي تحتاجهـا الـدعوة إلى الله من التضحية بالنفس أو المال أو غير ذلك.

- والصبر علـى أذى المشـركين والمنـافقين والفاسقين، فلا يُخْرِج ذلك الإنسـانَ عـن طـوره، ولا يدعوه إلى التسـرُّع أو التهـوُّر أو الاسـتعجال؛ بل يظلُّ على منهجه الذي آمن به واطمأنَّ إليــه، ولا يستجيب لاستفزاز الذين لا يوقنون.

- والصبر على ما يلقاه داخل الصف المؤمن مــن النقــائص والمآخــذ والعيــوب؛ فــإن الأمــة المنهزمة يدبُّ الداء فيها إلى كل شيء، وقـلَّ أن نجـد فيهـا شـيئًا مسـتويًا، ومـن المعتـاد أن يجـد الداعيــة: تخلخلاً فــي الصــفوف، أو ضــعفًا فــي العزائــم، أو ضــعفًا فــي الاتِّبــاع، أو إخلادًا إلــى الراحة، أو تناقضًا في الجهود... أو ما شابه ذلك، فيكون دأب الصابر العمل على الإصـلاح وتلافـي العيوب ما وجد إلى ذلك سبيلاً.

- والصبر عن المعاصي التي تنتشر وتفشــو، حتى ليصبح التحرُّز منها أمـرًا صـعبًا، يحتـاج إلـى جهد جهيد وبذل وعناء.

وقد أشار النبي ﷺ إلى تفاقم الأمر، واشتداد الغربة، حتى ليكون المتمسِّك بالسنة، الصابر على الدين؛ مثل الممسك بالجمر، يشعر بمرارتها وإحراقها، ويهمُّ في كل لحظة بتركها وإلقائها.

عن أنس بن مالك رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: **"يأتي على الناس زمان؛ الصابر فيهم على دينه كالقابض على الجمر"**[30].

وعن أبي ثعلبة الخشني رضي الله عنه مرفوعًا: **"إنَّ من ورائكم أيام الصبر، الصبر فيه مثل قبض على الجمر..."**[31].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه؛ قال: قال رسول الله ﷺ: **"ويلٌ للعرب من شرٍّ قد اقترب؛ فِتَنًا كقطع الليل المظلم؛ يصبح الرجل مؤمنًا ويمسي كافرًا، يبيع قومٌ دينهم بعَرَض من الدُّنيا قليل، المتمسِّك يومئذ بدينه كالقابض على الجمر (**أو قال: **على الشَّوك)**[32].

وعن ابن مسعود رضي الله عنه مرفوعًا: "**يأتي على الناس زمان؛ المتمسك فيه بسنَّتي عند اختلاف أمتي كالقابض على الجمر**"[33].

قال القاري[34]: "الظاهر أن معنى الحديث: كما لا يمكن القبض على الجمرة؛ إلا بصبر شديد، وتحمُّل غلبة المشقّة؛ كذلك في ذلك الزمان لا يُتَصَوَّر حفظ دينه ونور إيمانه إلا بصبر عظيم وتعب جسيم"[35].

وقد طبَّق الإمام الشاطبي[36] هذا المعنى الذي دل عليه الحديث على زمانه، فقال:

"وهذا زمانُ الصَّبْرِ مَنْ لَكَ بِالَّتي
كَقَبْضٍ عَلى جَمْرٍ فَتَنْجُو مِنَ البَلا"[37]

قال الجعبري[38]: "أي: هذا الزمان زمان الصبر؛ لأنه قد أُنكِر المعروف، وعُرِف المنكر، وفسدت النيّات، وظهرت الخيانات، وأوذي المحق، وأكرم المبطل، فمَن يسمح لك بالحالة التي لزومها في الشدة كالقابض على جمر النار"[39].

وهذه الحال التي ذكرها الجعبري عن ذلك الوقت ما زالت في تفاقم وازدياد وتوسع، حتى آل الأمر إلى انحراف شامل في الأوضاع كلها في هذا الزمان، وإلى اندراس السنن وانطماسها، وإحياء البدع، واستعلاء أهلها، وصار الكثيرون في عماية عن دينهم؛ لا يفرِّقون بين الحق والباطل، والمنكر والمعروف، والسنة والبدعة، والشريعة والهوى، وأخلد كثير من العالمين والعارفين إلى الدَّعة والراحة، وتسرَّب اليأس والوهن إلى نفوسهم، فما عادوا يطمعون في إصلاح الأوضاع واستدراكها، وظنّ بعضهم أنهم في الزمن الذي يعذرون فيه بترك الأمر والنهي؛ لأن الأمر والنهي في ظنهم لم يعد مجديًا، والذكرى لم تعد نافعة.

وفي مثل هذا الحال يتأكّد الصبر، ويتحتَّم، ويصبح من أوجب الواجبات؛ لأنه بالنسبة للمسلم العادي ضرورة لحفظ إسلامه، وحمايته من الردَّة التي تطلّ برأسها: على صورة مبادئ ومذاهب إلحاديَّة، أو على صورة موجات تشكيكيَّة، أو على صورة انجراف في الحياة الماديَّة، وتخلٍّ عن الشعائر، وغفلة عن المعتقدات... أو على أي صورة أخرى.

والصبر بالنسبة للمسلم المنتسب للفرقة الناجية ضرورة؛ للسبب السابق ذاته، ولسبب آخر، وهو: حفظ نقاء عقيدته، وصفاء إيمانه، واتباعه للسنّة، وحمايته من الوقوع في البدع العملية والاعتقادية، وبقائه حريصًا على أن يكون على ما كان عليه النبي ﷺ وأصحابه.

والصـبر بالنسـبة للمسـلم الحريـص علـى القيـام بـواجب الـدعوة إلـى اللـه، ونشـر العلـم الشرعي، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، والتصـدِّي لفـروض الكفايـات العامـة الضـرورية لحياة الأمة، ممَّن يحرص على الاتصاف بصـفات الطائفـة المنصـورة والتميُّـز بخصائصـها؛ الصـبر بالنسبة لهؤلاء ألـزم وأوكـد؛ للسـببين السـابقين ذاتهما، ولسبب ثالث، وهو أن هذا المسلم لـم يقنع بصلاح نفسه وتقويمها على الجادة؛ بـل نـذر نفسـه: لإصـلاح الأمـة، وتقـويم أودهـا، وتجديـد دعوتها إلى المنهج الصحيح، وإلى الكتاب والسنة وطريقـة السـلف الصـالحين، فـي زمـن غربـة، المُعين فيه على الخير قليـل، ولهـذا ينتصـب لـه أعداء كثيرون:

* **منهم الحكَّام** المحادُّون للـه ورسـوله، النابذون شرع الله وراءهم ظهريًّا، وهم يحـاربون السـنة وأهلهـا؛ لعلمهـم أن التمسُّـك الصـحيح بالإسلام:

- يهب أهله مـن الاسـتعلاء والعـزة الإيمانيـة والتحرُّز من ذلِّ العبوديـة للمخلـوقين أو الخـوف منهم ما يحملهم على ردِّ الباطل علـى أهلـه ولـو كانوا هم السادة والقادة.

- ويجعلهــم أمــة واعيــة متميِّــزة؛ عارفــة بحقوقهـا الـتي يجـب أن توصَـل إليهـا، عارفـة بواجباتهـا الـتي يجـب أن تؤدِّيهـا؛ فهـي لا تجهـل حقوقهـا، فتقصـر عـن المطالبـة بهـا، ولا تجهـل واجبها، فيلبس عليها بجعل ما ليس بواجب واجبًا.

- ويجعلهم أمـة عقيـدة، لا يقـرُّ لهـا قـرار؛ إلا بتطـبيق الشـريعة الإلهيـة فـي كـل ميـدان مـن ميادين الحياة، وإقصاء القوانين البشرية الضـالة الظالمة.

- ويحملهــم علــى القيــام بالقوامــة علــى المجتمـع، ومراقبـة سـيره، ومعالجـة انحرافـه، ومقاومة القوى الخفيَّة التي تعمل علـى إضـلاله وفســاده، وذلــك بالجهــاد، والأمــر بــالمعروف، والنهي عن المنكر، والجهر بكلمة الحـق، والقيـام بواجب الدعوة إلى اللـه، وحفـظ حقـوق النـاس الأدبيَّة والماديَّة والسياسيَّة والأخلاقيَّة.

وهؤلاء الحكام يعملون على إغراء العلماء والدعاة بالمال والمنصب والجاه وسائر الحظوظ الدنيويّـَة؛ لصرفهم عما هم عليه، وواجب العالم والداعية حينئذ الصبر، ومقاومة الإغراء.

كما يتعرَّض العالم -إذا استعلى علم الإغراء المادي- للتهديد والتخويف والتضييق، وربما أُخرِج من بلده، أو قتِل، أو أُوذِي في نفسه وأهله وماله، ولابدَّ من احتمال هذا الأذى في سبيل الله.

وقد يستطيع الكثيرون تحمُّل الشدَّة والصبر عليها، ولكن لا يستطيعون الصبر أمام هواتف المادَّة ومغرياتها.

وهذا عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه يقول: "ابتُلينا مع رسول الله [illegible] بالضراء؛ فصبرنا، ثم ابتلينا بالسَّرَاء بعده؛ فلم نصبر"[40].

وسر الصبر على الضرَّاء -والله أعلم-: أن الشدة تستنفر قوى الإنسان وطاقاته، وتثير فيه الشعور القوي بالتحدِّيات التي تواجهه، وتشعره بالفقر إلى الله تعالى، ووجوب التضرُّع، وصدق اللجأ إليه، فيهبه الله الصبر.

أما السراء؛ فإن الأعصاب معها تكون مسترخية في الغالب، والنفس موافقة، وهي تخاطب بعض الغرائز الفطريَّة؛ من حب الشهوات؛ من النساء، والبنين، والقناطير المقَنْطَرة من الذهب والفضة، والخيل المسوَّمة، والأنعام، والحرث، فيسترسل الإنسان معها شيئًا فشيئًا؛ دون أن يشعر بأن هذا ينافي الصبر، أو يدرك أنه واقع في فتنة.

ولا شكَّ أن المستهدَفين بهذا العداء المستحكِم هم: المجاهدون في ذات الله، الآمرون بالمعروف، الناهون عن المنكر، الناذرون أنفسهم للدعوة والإصلاح.

* ومن ألدِّ أعدائهم: حَمَلَة المذاهب المادية الأرضية؛ من: الشيوعيين، والاشتراكيين، والقوميين، والبعثيين، والعلمانيين، وغيرهم؛ ممن أصبحت عقولهم مناطق نفوذ للشرق أو للغرب في العالم الإسلامي!

وغالب هؤلاء قد تشبَّعوا بتلك المبادئ والأفكار، ورُبُّوا عليها خلال فترة الدراسة والطلب، ومُنُّوا الأماني الباطلة: أن الدولة ستكون لهم، وأنهم سيتمكَّنون من قلب الأوضاع السياسية والاجتماعية والفكريَّة في العالم الإسلامي وصياغتها وفق ما يريدون.

وهم يدركون أن الخطر الحقيقي على مخطَّطاتهم يأتي من دعاة الإسلام وعلمائه الصادقين، الذين يستفرغون جهدهم وطاقتهم في تجديد أمر الدين لهذه الأمة، وتلافي الانحرافات القائمة، وحماية المسلمين من الأخطار التي تهددهم.

فيسعون جاهدين للحيلولة بينهم وبين الأمـة؛ بتشويه سمعتهم، وإلصاق التهـم بهـم، ووصـفهم بـــــــــــــــــــــــــــــالجمود والتخلّ
ُف والرجعية؛ مستغلِّين في ذلـك سـائر الوسـائل الــتي يســيطرون عليهــا؛ مـــن أجهــزة الإعلام المســموعة والمرئيــة، والصــحافة، والكتابــة، وترويج الإشاعات... وغير ذلك.

أو وصـفهم بـالتطرُّف، والعنـف، والأصـولية، وأنهم خطر على أمـن البلاد واسـتقرارها؛ فلابـدَّ لكي تعيش الأمة بسلام -زعمـوا- مـن استئصـال شــأفتهم، وقطــع دابرهــم، وحمايــة المصــالح والمكتَسَــبات القوميــة -زعمــوا- مــن خطــر تسلُّطهم!

ومــا زال هــذا الســيف الإعلامــي الخشــبي البـــر
َاق مصلتًا على رقاب الدعاة والعلماء المخلصين؛ بإيعـــــازٍ مـــــن قـــــوى الشـــــرق والغـــــرب الخفيّ
َة والظاهرة، المستبدَّة المغترَّة بقوَّتها الموقوتة!

ولعلَّ هؤلاء المحاربين للـدعوة داخلـون فـي قوله ﷺ لحذيفة حين أشار صلى الله عليه وسلم إلـى وقـوع شـرٍّ محـض منكـرٍ لا معـروف فيـه؛ بقـوله: **"دعـاة علـى أبـواب جهنّم، من أجابهم إليهـا؛ قـذفوه فيهـا".** قال حذيفة: صفهم لنا يا رسول الله. قال: **"هم من جلدتنا، ويتكلَّمون بألسنتنا"**[41].

قال ابن حجر: "قال القابسـي: معنـاه أنهـم فـــي الظـــاهر علـــى ملَّتنـــا، وفـــي البـــاطن مخالفون"[42].

وإذا كان العلماء عدُّوا من هذه الفـروق الـتي يقف على رأس كل منها داعية من هـؤلاء الـدعاة الخوارج وغيرهم مـن أهـل الأهـواء[43]؛ فـإن مـن الممكـن أن يلحـق بـذلك كـل مـن كـان يتظـاهر بالإســلام، وحقيقــة أمــره الزندقــة والنفــاق والخصـام، وهـذه حـال دعـاة المـذاهب الماديَّـة ممن ينتسبون إلى الإسلام.

وقد أرشد الرسول ﷺ إلى الصبر الواجب في هذه الحال، والذي يتمثَّل في:

1- لزوم جماعة المسلمين ولـزوم إمـامهم، وهــذا يــومئ إلــى محاربــة هــؤلاء القــوم، ومـواجهتهم، وردّ بـاطلهم، والتحـذير منهـم؛ بـل وقتالهم إذا كانت سوق الجهاد قائمة.

2- فإن لـم توجـد جماعـة يعـتزّ بهـا الإنسـان -مهما ضعُفت وقلَّ شـأنها- لمواجهـة كيـد الـدعاة المــارقين، ولا إمــام يعتصــم بــه الإنســان -بعــد اعتصامه بالله- في حرب هـؤلاء القـوم وقتـالهم، ولم يعد في وسعه أن يعمل شيئًا -أي شئ- يدفع به عن الدين؛ فعليه أن يصبر نفسه على الإسلام والسـنة، ويحـذر مـن مقاربـة هـذه الفـرق، أو الاغترار بباطلها، حتى إن الإنسان لو مات عاضًّا بأصل شـجرة؛ كـان خيـرًا لـه مـن أن يتّبـع أحـدًا منهم.

وهذا ما بيَّنه □□□ □□□□ □□□□ □□□□ □□□□ حين سأله حذيفة رضي الله عنه: فإن لم يكن لهـم جماعـة ولا إمام؟ قال: **"فاعتزل تلك الفـرق كلهـا، ولو أن تعضَّ بأصل شـجرة، حـتى يـدركك الموت وأنت على ذلك"**[44].

* ومن أعدائهم: أصحاب البدع والأهواء؛ من الفـرق الضـال ةَ المخالفـة للسـنّة، ومـن الصـوفية والباطنيـة - بشتى فرقها وشيعها - والمعتزلة وغيرهم.

وهؤلاء منهم من هو علـى الباطـل بلا خفـاء، ومنهم من يلبس الحق بالباطل، فيغترُّ الناس بما معه من الحق، ويقبَلون كل ما عنـده مـن الحـق والباطل؛ بلا تمييز.

وهذه فتنة عظيمة، تحتاج إلى صبر ومجاهدة فـي بيـان الحـق للنـاس وتحـذيرهم مـن ضـده، وتحتاج إلى وجـود قيـادات سـنِّيَّة ظـاهرة يتبعهـا النـاس؛ لأن العامـة - فـي كـل زمـان - لا تملـك التمييز بنفسـها؛ بـل بواسـطة مَـن تثـق بـه مـن العلماء.

ويقف خلف شيوخ البدع والضلالات سوادٌ من الدهماء والعامَّة؛ من المغترِّين بهم، المقلدين لهم بغير علم، فيقف خلف علماء الرافضة -مثلاً- غوغاؤهم ممّن بدأت منهم الفتنة وإليهم تعود، ويقف خلف شيوخ التصوف مريدوهم من أتباع الطرق المضلَّة عن سبيل الله...

وكثيرًا ما تقف الطوائف الثلاث: الحكام المسلَّطون، ودعاة المذاهب الأرضية الماديَّة، وشيوخ البدعة وأتباعهم، في خندق واحد ضد السنة وأهلها، ويتعاونون في تضييق الخناق على أهل الأثر والاتِّباع، حتى يصل الحال إلى الاغتراب المطبق الذي ينطبق عليه قول الشاعر:

وأيُّ اغْتِرابٍ فَوْقَ غُرْبَتِنا الَّتي
لَها أَصْحَتِ الأعْداءُ فينا تَحَكَّمُ؟![45]

* وهنـاك الأعـداء الخـارجيُّون، وأشـدهم عـداوة وكيـدًا وخبثًـا اليهـود أعـداء اللـه ورسـله، وبيـدهم - اليـوم - مقاليـد الإعلام والاقتصـاد فـي كثير مـن بلاد العـالم، وبواسـطتها يـؤثرون تـأثيرًا بالغًـا فـي سياسـات الـدول الشـرقيَّة والغربيَّـة، ولهـم جمعيَّـات سريَّة ومنظَّمـات خفيَّـة يتحرَّكون باسمها حتى فـي بعـض البلاد الـتي تتظـاهر بحـرب اليهـود؛ كالماسـونية، وشـهود يهـوه[46]، ونوادي الروتاري[47]، وبعض الجمعيـات النسـائية والفنية، وغيرها[48].

والنصارى حلفاء لليهود في حرب الإسلام؛ رغم العداوات التاريخية بين هاتين الطائفتين، قال تعالى: **(يَا أَيُّهَا الَّذينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا اليَهُودَ والنَّصَارى أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ)**[49]؛ أي أن يدهم واحدة على المسلمين؛ لاجتماعهم على الكفر، واتِّفاقهم عليه[50]، وإلا؛ فبين اليهود والنصارى عداوة ظاهرة[51].

ودور هاتين الفئتين في حرب الإسلام وملاحقة الدعاة الصادقين والعمل على إبقاء العالم الإسلامي عالمًا متخلِّفًا مستَغلاًّ دور بارز لا يحتاج إلى بيان، خاصة مع ظهور دعوات السلام، وانعقاد مؤتمراته، وما يستتبع ذلك من عملية (التطبيع) التي ستجعل -إن تمت لا كان ذلك- من العالم الإسلامي سوقًا مفتوحة لأفكار اليهود ودراساتهم وسوَّاحهم وبضائعهم... ليتم لها حكم العالم الإسلامي من خلال مركزيتها المهيمنة اقتصاديًّا وسياسيًّا وإعلاميًّا[52].

وينضـــم إلـــى هـــؤلاء ســـائر المشـــركين والكافرين؛ أيًّا كانت مللهم ونحلهم، حيث يرمـون المسـلمين عـن قـوس واحـدة، وبصـفة خاصـة: الـــدعاة الصـــادقين، والعلمـــاء المجاهـــدين، والجمعيات والجماعات الإسـلامية، وكلمـا كـانت هـذه الحركـات وأصـحابها أصـدق فـي الاتِّبـاع والالـتزام، وأبعـد عـن الخرافـة والبدعـة؛ كـانت الحرب أشرس، والعداوة أشدّ.

ولَيْس غَرِيبًا مَا نَرى مِنْ تَصـارُعٍ
هُوَ البَغْـيُ لكِـنْ بالأسَـامِي تَجَدَّدا

وأصبَحَ أحْـزابًا تَنَـاحَرُ بَيْنَهـا
وتَبْدُو بوَجْـهِ الـدِّينِ صـفًّا مُوَحَّدًا

ولابدَّ من الصبر:

- صبر النفس علـى الـدين والإسـلام، وعـدم مفارقته إلـى غيـره مـن الأديـان، أو إلـى الإلحـاد وعدم التدُّين بدين ألبتَّة.

- وصبر النفس على التمسُّك بالسنّة، واتباع الأثر، وعدم الانتقال إلى البدعة، أو التلبُّس بالخرافة، ومجانبة طرائق المبتدعين من الذين تفرَّقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم البيِّنات.

- وصبر النفس على القيام بأعباء الدعوة، والجهاد، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، والتصدِّي لفروض الكفايات العامَّة التي تتوقَّف حياة الأمة الدينيَّة عليها، وعدم الالتفات إلى تثبيط المثبِّطين، وخذلان الخاذلين، وخلاف المخالفين؛ فإن هذا شأن الطائفة المنصورة؛ كما وصفها الرسول ﷺ.

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على إمام الصابرين، وعلى آله وصحبه أجمعين.

* * *

هوامش الفصل الثالث

[1] الحديد: 20.

[2] "رباعيات الخيام" ضمن مجموعة "ديوان أحمد رامي" (ص 413).

[3] "ديوان إيليا أبو ماضي" (ص 202).

[4] محمد: 4.

[5] البقرة: 253.

[6] رواه مسلم عن عياض بن حمار، وسبق تخريجه في الكتاب الأول.

[7] العنكبوت: 10.

[8] الحج: 11.

[9] آل عمران: 200، وانظر: "تفسير ابن كثير" (1/444)، و"مدارج السالكين" (2/159).

[10] الأحزاب: 22، وانظر: "أضواء البيان" للشنقيطي (6/574).

[11] العنكبوت: 1-3.

[12] انظر: "معجم مقاييس اللغة" (4/473).

[13] روى هذا الحديث:

- الترمذي في (37- كتاب الزهد، 56- باب ما جاء في الصبر على البلاء، رقم 2398، 4/601)، وقال: "هذا حديث حسن صحيح، وفي الباب عن أبي هريرة وأخت حذيفة بن اليمان: أن النبي ﷺ سئل: أي الناس أشد بلاء؟ قال: الأنبياء ثم الأمثل فالأمثل".

- والنسائي في " الكبرى" (42- كتاب الطب، 4- أي الناس أشد بلاء؟ ل 97 ب).

- وابن ماجه في (36- كتاب الفتن، 23- باب الصبر على البلاء، رقم 4023، 2/1334).

- والدارمي في (20- كتاب الرقاق، 67- باب في أشد النـاس بلاء، رقم 2786، 2/238)، ولفظـه: "فـإن كـان فـي دينـه صـلابة زيـد صلابة، وإن كان في دينه رقة؛ خفف عنه".

- وأحمد في "المسند" (1/172 و 174 و 180 و 185)، وزاد فـي الموضع الأول بعد: "الأنبياء": "ثم الصالحون".

- وفي "الزهد" له (ص 53) كروايته الأولى في "المسند".

- وابن سعد في (ذكر شدة المرض على رسول الله [illegible]، 2/209-210).

- والطحاوي في "المشكل" (باب بيان مشكل ما روي عن رسول الله [illegible] من جوابه سعد بن أبي وقاص لما سأله: من أشد الناس بلاء؟ 3/61)؛ كرواية أحمد، ثم كرواية الجماعة.

- وأبو يعلى في "مسنده" (مسند سعد بن أبي وقـاص، رقـم 142، 2/143).

- وابن حبـان؛ كمـا فـي "المـوارد" (6- كتـاب الجنـائز، 2- بـاب أي الناس أشد بلاء؟ رقم 699 و 700، ص 180).

- الحاكم في (كتاب الأيمان، 1/41) وسكت عنه هو والذهبي.

- وأبو نعيم في (ترجمة زيد بن الخطاب، رقمها 73، 1/368).

- والبيهقي في "السنن" (كتاب الجنائز، باب ما ينبغـي لكـل مسـلم أن يستشعره من الصبر على جميع ما يصيبه من الأمراض، 3/93).

- والخطيب البغدادي في (ترجمة محمد بن يزيد بن طيفور، رقمهـا 1496، 3/378).

- والبغوي في (كتاب الجنـائز، بـاب شـدة المـرض، رقـم 1434، 5/244).

* **كلهم من طريق** عاصم بن بهدلة عن مصـعب بـن سـعد عـن أبيه.

- وعاصم بن بهدلة: هو ابن أبي النجود، المقرئ، الكوفي، صـدوق، له أوهام.

انظر: "التهذيب" (5/38)، "التقريب" (1/383).

- ومصعب بن سعد بن أبي وقاص: ثقة.

انظر: "التهذيب" (10/160)، "التقريب" (2/251).

* **ورواه عن عاصم جماعة كثيرة من الثقات؛** نحو: حماد بن سلمة عند الطحاوي والحاكم وأبي نعيم والـبيهقي، وحمـاد بـن زيـد عند الترمـذي والنسـائي وابـن مـاجه وأحمـد والطحـاوي والحـاكم، وهشـام الدسـتوائي عنـد أحمـد وأبـي نعيـم والخطيـب والـبيهقي، وشيبان بن عبد الرحمن النحوي عند الطحاوى والحـاكم والـبيهقي، وشعبة عند أحمد والطحاوي وأبي نعيم والبيهقي، وغيرهم.

* **فالحديث بهذا الإسناد حسن.**

* **ثم إن عاصمًا لم ينفرد به؛ بل تابعه** سماك بن حـرب عـن مصعب عن أبيه، رواه الطحاوي في "المشكل" (باب بيـان مشـكل ما روي عن رسول الله □□□ □□□□ □□□□ □□□□ من جوابه سعد بن أبي وقاص، 3/62) مـن طريـق علـي بـن عبـد الرحمـن بـن محمـد بـن المغيرة الكوفي؛ قال: حدثنا منجاب بن الحارث التميمـي الكـوفي؛ قال: حدثنا شريك بن عبد الله النخعي عن سماك (فذكره).

- وعلي بن عبد الرحمن: ثقة.

انظر: "التهذيب" (7/360)، "االتقريب " (2/40).

- ومنجاب بن الحارث: ثقة.

انظر : "التهذيب" (10/297)، "التقريب" (2/274).

- وشريك بن عبد الله: صدوق، يخطئ كثيرًا، وتقدَّم.

- وسماك هو ابن حرب: صدوق، تغير بأخرة، وروايته عن عكرمة مضطربة.

انظر: "التهذيب" (4/232)، "التقريب" (1/332).

* ورواه العلاء بن المسيب عن أبيه عن سعد بن أبي وقاص أو العلاء عن مصعب عن أبيه:

- رواه الحاكم في (كتاب الإيمان، 1/40)، وفي سياق الإسناد قال: "عن العلاء بن المسيب عن مصعب بن سعد عن أبيه "، وقال: "هذا حديث صحيح على شرط الشيخين"، ولم يذكره الذهبي.

- وابن حبان؛ كما في "الموارد" في (6- كتاب الجنائز، 2- باب أي الناس أشد بلاء؟ رقم 698، ص 180)، وفيه: "عن العلاء ابن المسيب عن أبيه عن سعد".

وكأن الأقرب - والله أعلم - رواية ابن حبان، إذ لم أجد من ذكر للعلاء رواية عن مصعب؛ بل ذكروا له رواية عن أبيه، كما ذكره المزي وغيره.

* **ورجال إسناد ابن حبان ثقات، وهم:**

- أحمد بن علي بن المثنى: هو أبو يعلى الموصلي، صاحب "المسند"، الإمام، الحافظ.

انظر: "الثقات" (8/55)، "سير أعلام النبلاء" (14/174).

ولم أجد الحديث بهذا الإسناد في "مسنده" المطبوع، فلعله في "المسند الكبير" الذي رواه أبو عمرو بن حمدان عنه.

انظر: "السير" (14/180).

- وإسحاق بن إسماعيل الطالقاني: انظر: "التهذيب" (1/226)، "الكاشف" (1/60).

- وجرير بن عبد الحميد: انظر: "التهذيب" (2/75)، "التقريب" (1/127).

- والعلاء بن المسيب: مضى.

- وأبوه: هو المسيب بن رافع: انظر: "التهذيب" (10/153)، "التقريب" (2/250).

* **فهذا الإسناد صحيح،** وبه يرتقي الإسناد الأول إلى الصحة لغيره.

* **وللحديث شواهد كثيرة**، ستأتي بعد قليل بإذن الله.

14 الوعك: هي الحمى أو ألمها. انظر: "النهاية" (5/207).

15 التحوية: أن يدير كساءً حول سنام البعير، ثم يركبه، وتأتي بمعنى: الجمع والضم، ولعله الأليق هنا. وانظر: "النهاية" (1/465).

16 روى هذا الحديث:

- ابن ماجه في (36- كتاب الفتن، 23- باب الصبر على البلاء، رقم 4024، 2/1334)، وقال البوصيري في "الزوائد": "إسناده صحيح، رجاله ثقات، وله شاهد من حديث مصعب بن سعد عن أبيه". "مصباح الزجاجة" (3/248).

- والبخاري في "الأدب المفرد" (229- باب هل يقول المريض: إني وجع؛ شكايةً؟ رقم 510، 1/601).

- والطحاوي في (باب بيان مشكل ما روي عن رسول الله ﷺ فيما كان يصيبه من الوعك، 3/64).

- وابن سعد في "الطبقات" (ذكر شدة المرض على رسول الله ﷺ، 1/208).

- والحاكم في (كتاب الإيمان، 1/40)، وسكت عنه، ولم يذكره الذهبي، وفي (كتاب الرقاق، 4/307)، وقال: "صحيح على شرط

مسلم، ولم يخرجاه"، ووافقه الذهبي، وفي روايتي الحـاكم زيـادة: "ثم العلماء"؛ بعد قوله: "الأنبياء"، وزاد: "وإن كـان أحـدهم ليبتلـى بالقمل حتى يقتله القمل".

- والـبيهقي فـي (كتـاب الجنـائز، بـاب مـا ينبغـي لكـل مسـلم أن يستشعره من الصبر على جميع ما يصـيبه مـن الأمـراض والأوجـاع والأحزان، 3/372) كرواية الحاكم.

* **كلهم من طريق** هشام بن سعد عن زيد بن أسلم عـن عطـاء بن يسار عن أبي سعيد.

- وهشام بن سعد: صدوق، حسن الحديث، لـه أوهـام، وذكـر أبـو داود أنه أثبت الناس في زيد بن أسلم.

انظر: "التهذيب" (11/39)، "الكاشف" (3/196)، "التقريب" (2/318).

- وزيد بن أسلم: ثقة، له تدليس قليل محتمل.

انظر: "التهـذيب" (3/395)، "التقريـب" (1/272)، "تعريـف أهـل التقديس" (ص 37).

- وعطاء بن يسار: ثقة، فاضل.

[17]انظر: "التهذيب" (7/317)، "التقريب" (2/23).

* **فالحديث بهذا الإسناد صحيح،** وإن كان فيه هشام بن سعد، وحديثه حسن؛ إلا أنه رواه عن زيد بن أسلم، وهو ثبت فيه؛ بل أثبت الناس فيه؛ كما قال أبو داود، مع وجود الشواهد؛ كمـا سـبق، وكمـا سيأتي.

(17) رواه: البخاري (7/3، 7، 8، 9)، ومسلم (4/1991)، والنسائي في "الكبرى" (ل 97 ب)، والدارمي (2/224)، وأحمد (1/455)، وأبـو داود الطيالسي (ص 49)، وابن سـعد (2/207 و208)، وابن أبي شيبة (3/229)، وهناد بن السري في "الزهد" (1/241)، والطحاوي (3/63)، وابن حبـان؛ كمـا فـي "المـوارد" (ص 180)، والـبيهقي (

3/372)، والبغوي (5/242 و 243).

[18] وهو الذي أشار إليه الترمذي بقوله: "وفي الباب عن أخت حذيفة".

- ورواه النسائي في "الكبرى" (ل 97 ب).

- وأحمد في "المسند" (6/369)، وسماها فاطمة، وفيه: "ثم الذين يلونهم (ثلاث مرات)"، وقال الهيثمي في "المجمع " (2/292): "وإسناد أحمد حسن".

- وهناد بن السري في "الزهد" (1/239).

- والطبراني في "الكبير" (ترجمة خولة بنت اليمان العبسية أخت حذيفة، ويقال: فاطمة، رقم 626- 631، 24/224- 226).

[19] "في ظلال القرآن" (5/2720).

[20] البقرة: 214.

[21] روى هذا اللفظ من الحديث:

- البخاري في (56- كتاب الجهاد، 11- باب قول الله تعالى: **(قل هل تربصون بنا إلا إحدى الحسنيين)**، 3/205)، وفي (102- باب دعاء النبي صلى الله عليه وسلم إلى الإسلام والنبوة، 2/4-3).

[22]- ومسلم في (32- كتاب الجهاد والسير، 26- باب كتاب النبي ﷺ إلى هرقل يدعوه إلى الإسلام، رقم 74، 3/1393).

- وأحمد في "المسند" (1/262- 263).

- وأبو عوانة في (كتاب الجهاد، بيان كتاب النبي ﷺ إلى هرقل، 4/176 - 190).

(22) الأنعام: 34.

[23] الأنعام: 35.

[24] انظر: "معجم مقاييس اللغة" (3/329).

[25] البيت لعنترة بن شداد؛ كما فـي: "ديـوانه" (ص 264)، و"اللسـان" (4/438).

ومعنى البيت: "حبست نفسًا صابرة".

[26] انظر: "مدارج السالكين" (2/156).

[27] انظر: "مدارج السالكين" (2/156).

[28] انظـر: "فتـاوى شـيخ الإسـلام" (15/138 ومـا بعـدها)، "دقـائق التفسير" (3/436)، "مدارج السالكين" (2/156).

[29] الحديث حسن بشاهده، وهو حـديث عتبـة بـن غـزوان، ولفظـه: "إن من ورائكم أيام الصبر، للمتمسك فيهـن يومئـذ بمـا أنتـم عليـه أجـر خمسين منكم". قالوا: يا نبي الله! أو منهم؟ قال: "بل منكم".

وقد سـبق تخريجهمـا فـي البـاب الثـاني، الفصـل الثـاني: الطائفـة المنصورة.

[30] **روى هذا الحديث:**

- الترمذي في (34- كتاب الفتن، 73- باب، رقم 2260) من طريق إسماعيل بن موسى الفزاري بن بنت السدي الكوفي عن عمر ابـن شاكر عن أنس بن مالـك بـه، وقـال: "هـذا حـديث غريـب مـن هـذا الوجه، وعمر بن شاكر شيخ بصري، قد روى عنه غير واحد من أهل العلم".

[31]- وابن عدي في "الكامل" (ترجمة عمر بن شاكر، 5/1711) مـن طريق الفضل بن عبد الله عن إسماعيل به.

*** وفي إسناده:**

إسماعيل بن موسى الفزاري: صدوق، يتشيَّع.

انظر: "التهذيب" (1/335)، "الكاشف" (1/78).

- وعمر بن شاكر: خلاصة القول فيه أنه ضعيف عند الجمهور.

انظر: "الكامل" (5/711)، "الميزان" (3/203)، "التهذيب" (7/459)، "التقريب" (2/57).

* وهذا الحديث عند الترمذي بإسناد ثلاثي، ولا يوجد في "سننه" حديث ثلاثي غيره، وهو رباعي عند ابن عدي.

* **وهو حديث ضعيف بهذا الإسناد.**

* **ولكن له شواهد يثبت بها؛** كحديث: أبي ثعلبة، وأبي هريرة، وابن مسعود؛ رضي الله عنهم.

(31) هو حديث حسنه الترمذي، وصححه ابن حبان والحاكم والذهبي، وسبق تخريجه وبيان ضعف إسناده منفردًا؛ لأن فيه عمرو بن جارية اللخمي، وهو مقبول، ولعل هؤلاء الأئمة حسَّنوه أو صحَّحوه لشواهده.

[32] روى هذا الحديث: الإمام أحمد في مسنده (2/390) من طريق يحيى بن إسحاق وحسن، كلاهما عن ابن لهيعة عن أبي يونس عن أبي هريرة، وزاد: "قال حسن في حديثه : خبط الشوك ".

[33]- ويحيى بن إسحاق هو البجلي، أبو زكريا السيلحيني: ثقة.

انظر: "التهذيب" (11/176)، "الكاشف" (3/219).

- وحسن: هو ابن موسى الأشيب- فيما أرى-، وهو ثقة أيضًا.

انظر: "التهذيب" (2/323)، "التقريب" (1/171).

- وابن لهيعة: ضعيف في غير حديث العبادلة عنه، ومضى.

- وأبو يونس: هو سليم بن جبير الدوسي المصري، مولى أبي هريرة، ثقة.

انظر: "التهذيب" (4/166)، "التقريب" (1/320).

* **فهذا الإسناد ضعيف** لضعف ابن لهيعة، ولكنه يصلح شاهدًا للحديث الأصل.

(33) أخرج هذا الحديث:

- أبو بكر الكلاباذي في "مفتاح المعاني " (ق 188/2).

- والضياء المقدسي في "المنتقى من مسموعاته بمرو" (99/1).

من طريقين عن حميد بن علي البختري: حدثنا جعفر بن محمد الهمداني: حدثنا أبو إسحاق الفزاري عن مغيرة عن إبراهيم عن الأسود.

* ذكر ذلك كله الشيخ ناصر الدين الألباني في "سلسلة الأحاديث الصحيحة" (2/683)، وقال: "مَن دون أبي إسحاق -واسمه إبراهيم بن محمد: ثقة حافظ- لم أعرفهم".

[34] هو علي بن محمد (ويعرف بسلطان) الملا الهروي القاري، ولد في هراة، وسكن مكة، وتوفي بها، فقيه حنفي، له عناية بالحديث وشرحه، وله تصانيف؛ منها: "شرح المشكاة"، و"تذكرة الموضوعات"، و"الرد على فصوص ابن عربي"، توفي عام (1014هـ).

انظر: "خلاصة الأثر" للمحبي (3/185)، "الأعلام" (5/12-13).

[35] "مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح" (10/97).

[36] هو الإمام أبو محمد القاسم بن فيّرة بن خلف بن أحمد الرعيني الشاطبي، إمام القراء، وكان ضريرًا، ولد بشاطبة في الأندلس سنة (538هـ)، وتوفي بمصر سنة (590 هـ)، وله قصيدة في القراءات سماها "حرز الأماني"، وتعرف بـ"الشاطبية"، وكان آية في الحفظ.

انظر: "معرفة القراء الكبار" للذهبي (2/573)، و"التكملة لوفيات النقلة" للمنذري (1/207)، وغيرهما.

[37] "حرز الأماني " مع شرحها "إبراز المعاني" لأبي شامة المقدسي (ص 55).

[38] يوجد أكثر من عالم يعرفون بهذه النسبة؛ منهم: إبراهيم بن عمر ابن إبراهيم بن خليل، أبو إسحاق الجعبري، له نظم ونثر ومصنفات كثيرة معظمها مختصرات، وله شرح لـ"الشاطبية"، ولعل هذا القول فيه، توفي عام (732 هـ).

وانظر: " البداية والنهاية" (14/138)، "الأعلام" (1/55).

[39] ذكره في "المرقاة" (10/98).

[40] روى هذا الأثر: الترمذي في (38- كتاب صفة القيامة، 30- باب، رقم 2464، 4/642) من طريق قتيبة: حدثنا أبو صفوان عن يونس عن الزهري عن حميد بن عبد الرحمن عن عبد الرحمن ابن عوف به، وقال: "هذا حديث حسن".

- وقتيبة: هو ابن سعيد بن جميل الثقفي، أبو رجاء البغلاني: ثقة، ثبت.

انظر: "التهذيب" (8/358)، "التقريب" (2/122).

- وأبو صفوان: هو عبد الله بن سعيد بن عبد الملك الأموي: ثقة.

انظر: "التهذيب" (5/238)، "التقريب" (1/420).

- ويونس: هو ابن يزيد الأيلي، ثقة، قال ابن حجر في "الفتح": "ثقة، حافظ"، وقال الذهبي: " أحد الأثبات".

انظر: "الكاشف" (3/267)، "التهذيب" (11/450)، "فتح الباري" (3/551).

- والزهري: هو محمد بن مسلم بن عبيد الله بن عبد الله بن شهاب الزهري، متفق على جلالته وإتقانه، ومضى.

- وحميد بن عبد الرحمن: هو ابن عوف الزهري، ثقة.

انظر: "التهذيب" (3/45)، "التقريب" (1/203).

* **فهذا الأثر بهذا الإسناد صحيح.**

[41] اللفظ في الصحيحين وغيرهما، وسبق تخريجه.

[42] "فتح الباري" (13/36).

[43] انظر: "فتح الباري" (13/36).

[44] طرف من حديث حذيفة في الصحيحين، وسبق تخريجه في غير هـذا الكتاب من السلسلة.

[45] البيت لابن القيم في كتاب "حـادي الأرواح" (ص 7)، وقـد اسـتعرته لمعنى آخر غير معناه الأصلي.

[46] كلمة (يهوه) تقابل كلمة (الله) في التوراة، و (شـهود يهـوه) جمعيـة عالمية دينية وسياسية ظهرت في النصف الثاني من القـرن التاسـع عشر، وهي تقوم بنشاط مكثف لفرض اعتقادها على العالم، وتبشر بمـا يسـمى العـالم الجديـد، وهـي فرقـة نصـرانية متـأثرة بالديانـة اليهودية، وتسـعى لإضـعاف وتخريـب الإسـلام والنصـرانية لمصـلحة اليهود، ومقرها الرئيسي في الولايات المتحدة. انظر: "شهود يهوه" لمحمد حرب (ص 5 و 9).

[47] وهي منظمة ماسـونية، شـكلت عـام (1904م) فـي شـيكاغو، ولهـا فروع فـي أكـثر بلاد العـالم، ومـن أشـهر أعضـائها هيلتـون اليهـودي صاحب الفنـادق المنتشـرة فـي أكـثر مـدن العـالم، ومهمـة فنـادقه السـيطرة علـى اقتصـاد البلاد الـتي توجـد بهـا، والعمـل علـى نشـر الماسونية، وعقد اجتماعات الماسون الدورية فيها.

انظـر: "الماسـونية"؛ أقـدم الجمعيـات السـرية وأخطرهـا" بـدون مؤلف (ص 40- 41).

[48] انظر لمزيد من التوسع في هذا الموضوع الخطير، ومن أجـل نظـرة متوازنـــة معتدلـــة: "المخططـــات الصـــهيونية" لمحمـــد قطـــب، "الصهيونية... حذار" تأليف: يوري إيفـانوف، ترجمـة: مـاهر عسـل، "الخطر الصهيوني على العالم الإسلامي" لماجد كيلاني، "الحركـات النسائية وصلتها بالاستعمار" لمحمد عطية خميس، وغيرها.

[49] المائدة: 51.

[50] انظر: "تفسير البغوي" (2/44)، و "تفسير الكشاف" للزمخشـري (1/343).

[51] انظر: "ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين" (ص 45-47)، " أضواء على المسيحية" لمتولي يوسف شلبي.

[52] انظـر للأهميـة: كتـاب "التطـبيع اسـتراتيجية الاخـتراق الصـهيوني" لغسان حمدان، وكتاب "الاستراتيجية الإسـرائيلية لتطـبيع العلاقـات مع البلاد العربية" لمحسن عوض؛ ضمن سلسلة "الثقافـة القوميـة" التي يقوم على طباعتها مركز دراسات الوحدة العربيـة، وهـو كتـاب مهم.

* * *